روبرت ميرتون Robert Merton

عالم اجتماع أمريكي معاصر.

تحددت معظم إسهامات ميرتون للاتجاه الوظيفي عندما نشر مؤلفه النظرية الاجتماعية والبنـــاء الاجتمـــاعي ((Social Theory and social structure)) حيث أكد بوضوح في هذا المؤلف على العلاقة القائمة بين البحـــوث الامبيريقيـــة والاتجاه الوظيفي.

طرح ميرتون فكرته عن الأبنية الاجتماعية وكيفية عملهـــا. ((ميـــز بـــين نوعين من الأبنية:

الأولى: اجتماعية عني بها.. مجموعة علاقات اجتماعية منتظمـــة تقـــوم بـــربط أعضاء الجماعة أو المجتمع بعضهم ببعض.

الثانية: ثقافية عني بها مجموعة قيم معمارية منتظمة تتحكم بسلوك الشخص داخل الجماعة أو المجتمع.

افترض ميرتون: تلازم وتماسك البنائين داخل المجتمع من اجـــل تنظـــيم مناشط الشخص السلوكية والفكرية والاجتماعية. لكن إذا حصل انفصال حاد بينهما أي إذا وقع انقطاع حّدي بين معايير أو قيم المجتمع والطاقات البنائيـــة لأعـــضاء الجماعة بحيث لا يلتزمون بها أو يتقيدون بأوامرها بسبب جفافها وقساوة شروطها وعدم مسايرتها للتطورات الحياتية والاجتماعية فان تكسر البناء الثقـــافي يكـــون ممكنا لدرجة تصل فيها القيم الثقافية ذاتها عاملا دافعا عند الناس بـــان يتـــصرفوا تصرفا مضادا ومتصارعا معها وعدم مسايرتها ومطاوعتها. وبهذا الفعـــل يبيـــت البناء الاجتماعي معاكسا ومضادا للبناء الثقافي لكن هذا الوضع المتضارب لا يبقى

على ما هو عليه بل يؤدي إلى إخراج وانحراف الأشخاص عن معايير وقيم مجتمعهم فتتكسر مكونات البناء الثقافي ويصل المجتمع إلى حالة ((اللامعيارية أي التحلل القيمي Anomie)) وعدم الانضباط الثقافي والاجتماعي و بها تكون بداية الانهيار البنائي الاجتماعي[١].

أي اعتبر ميرتون تلك الأبنية على درجة كبيرة من الأهمية لتنفيذ تفسيرات الانحراف المرتكزة بوجه خاص على الفروض الفردية السيكولوجية حول الأفراد (مثل الصحة النفسية، والأمراض النفسية ...) وذلك لأنه أوضح ان حالة البناء الاجتماعي تتحكم بفاعلية في تحديد أنماط التكيف السلوكي المختلفة للأفراد. وهو بذلك إنما أراد التأكيد على أن الحالة البنائية هي السبب الحقيقي للانحراف الاجتماعي.

وميرتون بذلك لم يكن معنيا بالانحراف أو الجريمة في حد ذاتها وإنما كان شاغله الأساس هو تحديد المصادر البنائية الاجتماعية لميل الأفراد للعمل بطرق غير مجارية للنظام الاجتماعي. وذلك لان الأبنية في نظره ليست أشياء وإنما هي بمثابة طرق معينة للفعل وانجاز الأهداف تلك الطرق التي تعطي للفعل صيغته وشكله.

كما ان ميرتون بتركيزه على الأهداف المنتظمة والوسائل المؤكدة لإنجاح تلك الأهداف وتأكيده على التكامل باعتباره الاسم الذي نطلقه على حالة العلاقة القائمة بين أجزاء النسق إنما أراد بهما أن يقدم لنا إطار التحليل الوظيفي الذي يتخذ من تلك العلاقة القائمة بين الأهداف المنتظمة والوسائل المحددة لانجازها منطلقة لهذا التحليل، على أساس ان حالة تكامل النسق تتحقق عندما نحصل على علاقة وظيفية بين تلك العناصر البنائية. وبذلك فانه في حالة اكتشاف الأفراد لعدم

قدرة الطرق المؤكدة على تحقيق النجاح لهم يلجأون إلى طرق منحرفة وفي ذلك تكمن حالة عدم التكامل بين العناصر البنائية وفي ضوء ذلك قدم ميرتون تنميطه لأشكال التكيف الفردي ((أي وضع ميرتون مرتسما يوضح خمس سبل سلوكية تستعمل الوسائل المؤسسية لكي يحقق أهدافاً ثقافية تمثل طموحه ومصالحه ومعاناته في تحقيق هدف يتمنى ان يصل إليه)). كما هو موضح في الشكل التالي: ((جدول يوضح أنواع التكيف الاجتماعي عند الأشخاص حسب تحليل روبرت ميرتون)).

نموذج التكيف	الأهداف الثقافية	الوسائل المؤسسية
١. المطابقة أو المماثلة ((المجاراة))	+	+
٢. الخلق أو الإبداع ((الابتكارية))	+	-
٣. الطقوسي ((القنوع اجتماعيا))	-	+
٤. الانسحابي.	-	-
٥. المتمرد أو ((العاصي))	±	±

- (+ مقبول) (- مرفوض)
- (+ يرفض القيم والمعايير السائدة ويحل محلها قيما جديدة بديلا عنها).

وبذلك تتحدد حالة التكامل في النسق عند ميرتون بمستوى التأكيد على كل من الوسائل والأهداف.

١. عندما يكون هناك توازناً بين التأكيد على العناصر البنائية المتمثلة في الأهداف والوسائل المنتظمة لتحقيقها تحدث حالة التوازن في النسق والتي يقابلها نمط المجاراة أو المطابقة في الشكل التوضيحي. وعندما يتفاوت هذا التأكيد بالنسبة لتلك العناصر البنائية يكون لدينا أنماط التكيف السلوكية التالية للأفراد.

٢. الابتكارية أو الإبداع Innovation : حيث تكون الأهداف مقبولة في حين أن الوسائل المنتظمة لتحقيق تلك الأهداف غير مقبولة.

٣. الطقوسية (القنوع الاجتماعي Ritualism : حيث تكون الوسائل مقبولة في حين ان الأهداف غير مقبولة أو غير مؤكدة بمستوى تأكيد الوسائل.

٤. الانسحابية Retreatism : حيث لا يكون هناك تأكيد على أي من الأهداف والوسائل المنتظمة.

٥. المتمرد أو العاصي Rebellion : حيث تكون كل من الأهداف والوسائل المنتظمة مرفوضة ومطروح نمط جديد للتكامل بين الأهداف والوسائل الجديدة[٣].

وبذلك يحدد روبرت ميرتون درجات معينة للتكامل في النسق تحددها مستويات التأكيد على العناصر البنائية والتي تؤثر بدورها على تحديد الأنماط التكييفية للسلوك الاجتماعي. وميرتون بذلك يتخذ من أنماط التكيف السلوكي للأفراد مؤشراته لقياس درجات التكامل في النسق الاجتماعي ومن ثم تتأكد مدى الصلة الوثيقة بين الاتجاه الوظيفي والوضعية المحدثة التي يعتبر السلوك إحدى عناصرها الأساسية والتي تؤكد على تحقيق الدراسة العلمية للظاهرة الاجتماعية بمعالجته إضافة إلى ان تحديده لأنماط التكيف السلوكي ودرجات التكامل في النسق

الاجتماعي يساعد على إقامة الرابطة بين الاتجاه الوظيفي والأداء الوظيفي لمستويات القياس بالنسبة للصياغة النظرية في علم الاجتماع.

وقد ساعد تحليل ميرتون للعناصر البنائية على تقديمه لمزيد من الإسهامات اللغوية والإجرائية للتحليل الوظيفي وذلك لأنه قدم في سياق تحليله الوظيفي تميزا واضحا بين: -

*الوظيفة الظاهرة Manifest والوظيفة الكامنة Latent أو الوظيفة المستترة.

تشير الوظيفة الظاهرة : إلى تلك النتائج التي تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة والتي تفرض على الأفراد تمثلها والتكيف معها بحيث تصبح النتائج متوقعة من الأفراد. أي ((الآثار الموضوعية التي تساهم في تكييف النظام بشكل مقصود ومتميز من قبل المشاركين فيه)).

---

*سنوضح عدد من الأمثلة حول الوظيفة الظاهرة والوظيفة المستترة، الوظيفة الظاهرة Manifest function والوظيفة المستترة Latent function العقوبة القانونية التي تقع على المجرم إذ تكون وظيفتها الظاهرة عقوبة كل من يخالف القانون الجنائي بيد أن وظيفتها المستترة هي إشعار المجتمع بالطمأنينة وحماية السلطة له ورجال القانون. وكذلك في تطبيق المحرمات إذ تكون وضيفتها المستترة التأكيد على زيادة التضامن الاجتماعي.

ومثال آخر هو إيقاد الشموع بقصد الاستهلاك الظاهري حيث ان الوظيفة الظاهرة لها هي الجانب الإناري أو الإضائي لكن الوظيفة المستترة هي الجانب الجمالي وتقليد بعض السلوكية الارستقراطية عن المكانة الاقتصادية للأسرة.

أما الوظيفة الكامنة: تشير إلى تلك النتائج غير المقصودة وتعني ((الآثار الموضوعية التي تساهم في تكييف النظام بشكل غير مقصود ام متميز وظاهر للعيان)).

وقد أدى هذا التحليل بميرتون إلى تحديد مفهومي الأداء الوظيفي Function والقصور الوظيفي Dysfuntion وهو بصدد تحديد اثر السمات البنائية للمجتمع على تكامله. حيث يشير الأداء الوظيفي للعناصر البنائية لما يترتب عليها من بلوغ حالة التكامل في النسق الاجتماعي في حين أن القصور الوظيفي " يشير لتلك الحالة التي تؤثر بها العناصر البنائية على حالة التكامل في النسق الاجتماعي. وقد أدى فهم ميرتون لمفهوم القصور الوظيفي لفكرة النسق المفتوح المرتبطة لحالة التوازن الدينامي للنسق الاجتماعي وبذلك يكون مفهوم القصور الوظيفي من الأدوات التحليلية التي استعان بها ميرتون لفهم ميكانزمات تفسير النسق الاجتماعي وديناميته. كما انه بتأكيده على البدائل الوظيفية قد كشف عن إمكانية التنوع في الوسائل لتحقيق المطالب الوظيفية بحيث لم تعد وسيلة واحدة متحكمة في تحقيق حاجات جماعة معينة أو مطلب وظيفي معين للنسق الاجتماعي.